المجلد07/ العدد01/ 2021. ص 256- 258

خصائص وسمات الأدب التفاعلي

د: محمد بوعلاوي
المركز الجامعي أفلو

لابد من الاعتراف أن إنسان هذا العصر أصبح ميالا إلى السرعة في تحقيق كثير من المنافع الحياتية، ولأن التكنولوجيا الرقمية ملمح من ملامح عصرنا، فقد صارت الوسائط الالكترونية ملك الكثير من القراء، وبات المثقف اليوم ملزما -إلى حد ما- بالجلوس أمام شاشة إلكترونية انصهر فيها المكتوب بالمسموع بالمرئي، وأضحى النص الرقمي سهل الانتشار قابلا للتكيف مع أنواع الأجهزة المختلفة، في هذا السياق ظهر ما يسمى بالأدب الالكتروني، أو ما يطلق عليه تجاوزا مفهوم الأدب التفاعلي، ولما كان الغرب سباقا في هذا المجال، كان من الطبيعي أن لا يظل مبدعوه مكتوفي الأيدي أمام كل هذه الأدوات والإمكانيات، فأخذ الكُتاب يستثمرونها في الكتابة لابتكار نصوصهم الخاصة، مما أدى إلى انتاج أنواع جديدة وأجناس أدبية مبتكرة تحمل صفات وخصائص الوسيط الذي أفرزها.

الإشكال المطروح:

ما ميزات الأدب التفاعلي؟

وما سماته وخصائصه؟

إن التغيرات الثقافية التي شهدها العالم منذ ستينيات القرن المنصرم حتى يومنا هذا قد ألقت بظلالها على الفكر الإنساني، فكانت الحداثة والعولمة وتطور وسائل الاتصال والتقنيات الحديثة، «العولمة تنتج كوكبا تختلط فيه الثقافات وتتعايش وتتصارع... في عصر تضخمت فيه وسائل الإعلام والاتصال وإمكانياته»[1]، فلم تعد الثقافة تمثل ذلك الترف الذهني بقدر ما أصبحت جزءا فعالا وحيويا من منظومة مفاهيم الحياة الواعية، مما أثرى المشهد الثقافي وسهل التواصل بين الثقافات والشعوب، ويسّر التعرف على الآخر واستلهام علومه وآدابه، وعاداته وتقاليده، ومجمل مظاهر ثقافته، «مما يساعد على تعميق الرابطة الثقافية أن كل الروابط بين الأمم والشعوب محكومة اليوم بالمعيار التكنولوجي»[2]، ويمثل الحاسوب نقلة نوعية في تاريخ تطور الكتابة البشرية، فقد اختزل هذا الجهاز جميع الوسائل التقليدية التي سادت قبل ذلك كالورق والحبر والأقلام، ليقدم شكلا غير مسبوق في الكتابة، وذلك عن طريق توظيف تقنيات جديدة في الكتابة والتواصل.

لقد مرّ النص بمراحل عدة، بدءا بالشفاهية، وهي مرحلة لها طبيعتها الخاصة أنتجتها بيئة معيّنة، ثم مرحلة الكتابة والتدوين، وصولا إلى المرحلة الإلكترونية التي تجمع بين المكتوب والمسموع والمرئي، في حالاته الثابتة والمتحركة، وشهد القرن العشرون انتقال الآداب الإنسانية من حضارة الورق إلى حضارة التكنولوجيا التي تغلغلت في مختلف جوانب الحياة، وكان لها أثرها البالغ على النصوص عامة "ورقية أو إلكترونية"، فصار التعبير عن العواطف وخلجات النفس بأسلوب جديد ولغة جديدة تتوسل بالصورة والفيديو والنص المترابط، وهذه الوسائط لها قدرة «على إقامة علاقات التداخل والتشابك بين النصوص المختلفة المتضمّنة فيها، على ما تنطوي عليه من تنوع وتعدد بالإضافة إلى المرونة في الانتقال بين المواد النصية وغير النصية»[3]، لتعطي للأدب تفاعلية تزيد كثيرا عنها في الأدب التقليدي المقدم على الوسيط الورقي وعند النظر إلى الحياة الأدبية والنقدية من زاوية المعاصرة، ، نجد أن

[1] حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007، ص178.

[2] نفسه، ص177.

[3] فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006م، ص183.

التفاعلية «باتت مطلبا مهما على صعيد تلقي النص الأدبي، فهي توفر أجواء تلق لا تقوم على الاستقبال فقط، بل التفاعل الحي بين منتج النص والمتلقي من خلال آلية التلقي عبر استعمال الحاسوب...ليتمكن المتلقي من مجاراة النص بردود فعل عاطفية وفكرية»[4] تصورها مبدع النص سلفا. والنص المترابط يعدّ «أحدث أشكال الكتابة الإلكترونية، وهو يشكل نصا إلكترونيا يرتبط بنصوص أخرى»[5] عن طريق روابط داخل النص.

خصائص الأدب التفاعلي:

إن النص التفاعلي هو نص متعدد الأبعاد يحيل إلى احتمالات ورؤى وتأويلات كثيرة، ويمكن عن طريق الوصلات الانتقال فيه من موضوع إلى موضوع آخر متصل به وذلك حسب أهداف المتلقي. لأن التفاعلية تعتمد على « توظيف الخصائص التقنية التي يتيحها النص المتفرع...يمكن من خلالها دمج الصوت البشري بالصوت الموسيقي، بالمؤثرات الطبيعية، بالصور الحية والجرافيكية، والرسوم المتحركة، والمخططات البيانية»[6]، ويؤمن النص التفاعلي بعدا آخر هو العلاقة بين النصوص المختلفة، وهناك تواصل الأفراد بعضهم مع بعض من أجل تفجير إمكانات النص، بحيث يتسع النص التفاعلي لغنى في المعلومات والقراءات لا حدّ له، وباستطاعة الأدب التفاعلي «أن يقدم تطبيقا حيا وواقعيا لفكرة تعدد التأويلات للنص الواحد»[7]، وينقل عملية تأليف النصوص نقلة نوعية من التأليف الفردي إلى التأليف الجماعي، كما أن له درجات أكثر تعقيدا كفيلة بإعطاء القراء فرصا ممتازة للمشاركة والتقييم.

ميزات الأدب التفاعلي وسماته:

يوفر النص التفاعلي إمكانية التركيز على مستويات وأجناس دون أخرى، حسب سياق الكلام أو طبيعة الجنس الأدبي من رواية أو شعر...ويكون النص نتاجا جماعيا يتيح للمتلقي مشاركة المبدع، مع إمكانية التمثل الملموس للمؤثرات من خلال الصوت والصورة وتشخيص الحادثة، ولا يتحكم المبدع في نصه وتصبح مادته بيد المتلقين، كما يمكن للمتلقي أن يتماهى في الموضوع لدرجة المساهمة في انتاجه بمساحة «تعادل أو تزيد عن مساحة المبدع الأصلي للنص»[8]، مما يجعل النص شراكة وملكا للمبدع وللمتلقي، وبانضمام المبدع إلى جماعة المتلقين، وتبادل الإبداع معهم، يوفر جهودا كبيرة على نفسه، مما يتيح الاستمتاع الحقيقي بالموضوع ويخلق تعايشا بين أجواء النص وأفق انتظار المتلقي.

يشحذ الأدب التفاعلي الذائقة الأدبية الكامنة لدى المتلقي، ويسهل ممارستها من خلال جماليات متجاوبة مع إيقاع العصر " الصوت والصورة والحركة ..." في تركيب أخاذ بعيد عن البطء والرتابة متجاوب مع الإيقاع الداخلي للأنظمة المعرفية الأخرى المجاورة للظاهرة الأدبية، «إن توظيف أداة جديدة للتواصل يؤدي إلى خلق أشكال جديدة للتفاعل»[9] لأنه يوظف «معطيات التكنولوجيا الحديثة في تقديم جنس أدبي جديد يجمع بين الأدبية والإلكترونية ولا يمكن أن يتأتى لمتلقيه إلا عبر الوسيط الإلكتروني... ولا يكون هذا الأدب تفاعليا إلا إذا أعطى المتلقي مساحة تعادل أو تزيد عن مساحة المبدع الأصلي للنص»[10]، ويعطي النص التفاعلي فرصة التألق لمستويات مجاورة للمستوى اللغوي كالمستوى السمعي واللوني والحركي، فتستجيب المدركات الحسية الرئيسية "السمع

---

[4] أمجد حميد التميمي، مقدمة في النقد الثقافي التفاعلي، كتاب ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص31.

[5] حنا جريس، الهيبر تكست، عصر الكلمة الإلكترونية، مجلة العربي، ع 527، وزارة الإعلام، الكويت، 2002، ص145.

[6] فاطمة لبريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص76.

[7] نفسه، ص159.

[8] مرجع سابق، ص49.

[9] سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان،ط1، 2005، ص10.

[10] إياد فليّح إبراهيم الباوي، حافظ محمد عباس الشمري: الأدب التفاعلي الرقمي الولادة وتغير الوسيط، دار الكتاب والوثائق، بغداد، ط1، 2011، ص32-33.

والبصر" بمحفزات، لخلق أجواء دلالية من خلال توظيف المؤثرات الصورية اللونية منها والضوئية، «90 بالمائة من مدخلاتنا الحسية هي مدخلات بصرية، كما تقول بعض الدراسات الحديثة»[11]. إن النصوص التفاعلية نصوص مفتوحة في فضاءات مفتوحة، تتيح للمبدع تجاوز الصورة النمطية التقليدية لعناصر بناء النص، وتكون نصوصا حيوية، تتحقق فيها روح التفاعلية بتضمينها آراء وتصورات عديدة، وتعتبر هذه الشروط بمثابة أسس لهذا الأدب.

استنادا إلى هذه الورقة يمكن القول: إن شبكة الأنترنت قد أثرت بشكل جوهري على أشكال الإبداع والتلقي في الأدب المعاصر من حيث اللغة والمضمون والمبنى والتلقي، والأمم التي لا تستجيب للتغيير «تحكم على نفسها بالموت، فانحطاط أغلب الحضارات وانقراضها يبدأ عندما تعجز عن فهم بأنه يجب أن تغير من واقعها استجابة للمستجدات التي واكبت الحركة البشرية المتصاعدة»[12]، وسيهتم –لا محالة- الإنتاج الرقمي مستقبلا بثيمات جديدة ذات صلة بالتطور الرقمي وما يقترن به من مفارقات اجتماعية وثقافية وسياسية. فالكلمة لم تعد هي الوسيلة الوحيدة التي يتم من خلالها بناء النص، فبظهور النص الرقمي تضعضع موقع اللغة، لتصبح علامة من علامات أخرى كثيرة يقوم عليها النص، كالصوت والإضاءة والصورة وغير ذلك. حين فتحت شبكة الأنترنت آفاقا جديدة أمام المتلقين، وأشكالا عديدة للتفاعل مع النصوص، كالإبحار في متن النص، والتنقل بين وصلاته، وقراءته بشكل غير خطي، والتدخل في بنائه واتجاه مساراته.

أما المبدع فقد أضحى دوره أكثر تعقيدا وتركيبا، فهو لا يكتب النص لغويا فقط، إنما يضيف إليه علامات غير لغوية مستخدما تقنية الوسائط المتعددة، ويجب أن يتوافق نصه مع خارطة القارئ الذهنية بعيدا عن مدلول معين «فيصبح المعنى مؤجلا باستمرار في لعبة الدوال في اللغة، يجب دائما الوصول إلى المعنى لكن الوصول إليه لا يحدث أبدا»[13]، حتى يحقق القيمة الجمالية المرجوة، وعليه أن يفكر في جمهور أوسع متعدد الثقافات والجنسيات والمشارب، في غياب مذاهب ومدارس نقدية جديدة تعنى بالنقد الرقمي.

[11] شاكر عبد الحميد: عصر الصورة ، السلبيات والايجابيات، عالم المعرفة، 311، الكويتن 2005، م 7-8، ص14.

[12] محمد صلاح سالم، العصر الرقمي، وثورة المعلومات، دراسة في نظم المعلومات، وتحديث المجتمع، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2002، ص11.

[13] ديفيد بشبندر، نظرية الأدب المعاصر وقراءة الشعر، ترجمة عبد الكريم عبد المقصود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 1996، ص82.